حراسة العفاف

{تدبُّر سورة النور}

م. علاء حامد

ملخص المحاضرة الحادية عشر

بناء الإيمان هذا هو الجدار الأخير الذي يثبت الإنسان ويحفظه حتى لو كانت الجدران الخارجية متساوية.

جدار الإيمان يبني عن طريق الركنين الأساسيين :

1- الإيمان بالله

2- واليوم الآخر.

والإيمان بالله سبحانه وتعالى ومعرفة الله سبحانه وتعالى وحب الله سبحانه وتعالى

يأتي من شقين :-

الشق الأول : هو معرفة الله تعالى من خلال ما تكلم به عن نفسه سبحانه وتعالى سواء في الآيات أو في الأحاديث .

فنعرفه أنه نور السماوات ، وبأنه سبحانه وتعالى الهادى ، وأنه سبحانه وتعالى الكريم الحليم.

الشق الثاني: النظر في آيات الله الكونية

فعندما أنظر إلى السماء والأرض إلى السحاب والمطر وإلى الطير وإلى الدواب كل رؤية من هذه الرؤي تتحول عندي إلى صفة من صفات الله سبحانه وتعالى

حينما يتكلم ربنا سبحانه وتعالى عن أعمال المؤمنين في العادة بيأتي في المقابل أعمال الكافرين لأن الضد يبرز الضد ، وبضدها تتمايز الأشياء.

{ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ}

السراب الشيء الذي يراه الإنسان مثلاً في الظهيرة في الأرض مثلاً يكون في صحراء أو في طريق ممتد طويل وهو عنده ظما فيتوهم انعكاسات الضوء على سطح الأرض أنها ماء ، فيظن أنها ماء فيذهب إليها فلا يجدها شيء

أنواع الجهل:

الجهل العادي إن أنت لا تدري وتعلم إنك لا تدري.

الجهل المركب أنك جاهل أنك لا تدرى ولا تدري أنك لا تدري

الجهل البسيط هو أنك لا تعلم حقيقة الشيء

المثال الأول: إنما هو للمتبوعين من الكفار هم أئمة الكفار الذين هم يعتقدون أنهم على الحق أو نسميهم أصحاب الجهل المركب

عمر رضي الله عنه كان مر على راهب شاف على و شه كده علامات العبادة لأن هو وشه شكله بيصوم وبيصلي كتير باين من وشه إن هو مرهق بالعبادة

فسأل من هذا ؟ فقال له هذا راهب .

فبكى عمر رضي الله عنه وارضاه فقيل : ما يبكيك ؟ إنما هو راهب

فقال : ذكرت قول الله تعالى : { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (3) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (4) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ}.

{يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً } طب دولا هيتصدموا بقى يوم القيامة

{ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ } جاءه يرجو فهو كان بيعمل كل ده منتظر بقى إنه هيخش الجنة زي ما النصارى معتقدين مثلاً من يسوع هينقذهم.

زي ما اليهود معتقدين إن المسيح الدجال هيجي ينقذهم.

لذلك أورد إبن كثير في هذا الجزء من التفسير ما يحصل لليهود يوم القيامة

فيقال لليهود يوم القيامة : ما كنتم تعبدون ؟

فيقولون: كنا نعبد عزير ابن الله.

فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من ولد .

ثم يقال لهم :ماذا تبغون؟

فيقولون: أي ربنا عطشنا فاسقنا

فيقال: ألا ترون ؟ فتتمثل لهم النار يحطم بعضها بعضاً فينطلقون فيها فيتهافتون فيها.

يقال للنصارى : ماذا كنتم تعبدون؟

فيقولون : كنا نعبد عيسى ابن الله.

فيحصل لهم نفس الكلام ، هم ما زالوا مصممين إلى يوم القيامة إن هم يصرحوا بعقيدتهم ويظنون أنها ستنفعهم فإذا بها سراب ، واذا بهم يتبعون سراباً وجرون يدخلون النار في النهاية.

{أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَـٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ}

المثال الثاني للتابعين

التابعين هم الجهلة الذين هم إنما ساروا وراء هؤلاء

فلم يبحثوا عن حق ولم يبذلوا مجهود في النظر في البحث عن الحق وانما استسهلوا ولم يطلبوا علم

{لُّجِّيٍّ } عميق.

فدول عايشين في كمية جهل غير عادية ربنا وصفهم بوصف مخيف جداً ، زي واحد في تحت الماية وتحت ماية عميقة عنده أصلاً الماية نفسها لها ظلمة.

ثم بعد ذلك الأمواج اللي فوق نفسها بتعمل مزيد من الظلمة.

بعد كده الليل نفسه فيه ظلمة

بعد كده فيه سحاب .. السحاب يحول بينه وبين النجوم ده مسبب له ظلمة. اجتمعت عليه ظلمة البحر وظلمة الأمواج وظلمة الليل وظلمة السحاب في حالة من الظلمة والخوف
وبالتالي الجاهل ده يسير وراء أي ناعق بلا علم ولا هدى ، لا شك أنه دائماً يعيش في اضطراب.
الإنسان إذا كان على علم وإذا كان على حق فإنه دائماً يشعر بالأمن حتى لو اجتمعت عليه المخاوف فدائما يشعر بالأمن.

الحالة دي بقى يوم القيامة بتتحول إلى ظلمات حقيقية وإلى خوف حقيقي متكامل يوم القيامة لأن اتباعهم بياخدوهم على النار و بيجدوا الظلمة دي ظلمة حقيقية يوم القيامة فلا يرون نوراً يوم القيامة

أعمال الكفار غير مقبولة لسببين :-
أولاً : أنه لم يبتغى بها وجه الله، أنه صرف العمل إلى غير الواحد الاحد الذي ليس له شريك ولا ند ولا صاحبة ولا ولد.
ثانيا: إن أعماله غير مقبولة لأنها ليست على هدي النبي عليه الصلاة والسلام
الأن شرطين قبول العمل : الإخلاص والإتباع
الإخلاص : أن يكون العمل الله.
والإتباع : أن يكون موافقاً لهدي النبي عليه الصلاة والسلام.
{ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا }

هناك تفسير ثاني للمثالين يتكلموا عن أعمال الكفار

المثال الأول: لأعمال الكافر التي يظنها حسنة والتي كان بها الثواب عند الله فإذا أتى القيامة اتصدم ووجد أنها سراب لا تغني ولا تسمن ولا تطعم ولا تسقي وإنما وجد أنها ذهبت هباءً منثوراً وأنه عوقب عليها ولم يجازى حتى عليها بأي حسنة.
المثال الثاني لأعماله السيئة.
وصف أعماله السيئة ظلمات لأن هي أصلاً خلقتها ظلمة
وهناك تفسير ثالث للمثالين أيضا
إن المثال الأول يتكلم عن أعمالهم في الدنيا.
والمثال الثاني على أعمالهم في الآخرة.

{ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ } سبحان الله ! فلذلك الإنسان هو الذي يسأل ربه دائماً أن يجعل في قلبه نوراً وفي لسانه نوراً في سمعه نوراً في بصره نورا اللهم أعطني نورا اللهم اجعلي نورا اللهم اجعلني نورا.

{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ }

إذا لم تجد بين البشر أنس فاستأنس بالكون من حولك فإن كل من حولك يسبحون الله سبحانه وتعالى ، استأنس بالملائكة ، استأنس بالطير ، استأنس حتى بالوقوف في البرية ، استأنس بالاشجار والاحجار

النبي عليه الصلاة والسلام يقول : إني لأعلم حجراً في مكة كان يسلم علي قبل البعثة."

وكان الصحابة يسمعون تسبيح الحصى بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام.

ولما نزل النبي عليه الصلاة والسلام من على الجذع الذي كان يخطب عليه وصعد على المنبر سمعوا للجذع أنين.

أنين كأزيز مثل بكاء الطفل الصغير.!!

{ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا }

فالإنسان إذا شعر بوحشة فله في الكون أنس.. أنت تسير مع التيار الصحيح.

النبي عليه الصلاة والسلام بيقول : " ما من يوم تشرق فيه الشمس إلا يسبح في السماوات ومن في الأرض إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم."

قال الله تعالى عن فرعون لما هلك :

{فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ}

وهذا يدل على أن العبد الصالح إذا مات تبكي عليه السماء والأرض لما تفتقد من صلاته وتسبيحه ، فهذا نوع من الأنس.

النبي عليه الصلاة والسلام يقول لما شهد جنازة قال : " مستريح ومستراح منه ، قيل من المستريح ومن المستراح منه ؟

قال : المستريح هو المؤمن يستريح بالموت أو كما قال عليه الصلاة والسلام ، ومستراح منه الكافر يستريح منه الجبال والدواب والأنعام"

النبي عليه الصلاة والسلام وقف على جبل أحد وكان يقول : "جبل أحد جبل يحبنا ونحبه. "

لما وقف هو وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم على جبل أحد اهتز الجبل فرحاً بمن عليه ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : "أثبت أحد إنما عليك نبي وصديق و شهيدان"

{ أَلَمۡ تَرَ} يعنى ألم تعلم { أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ}
{صَٰٓفَّٰتٖۖ} :صفات فرده الأجنحة تمد اجنحتها.
ربنا في سورة تبارك قال : { صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ } يقبضن يعني يضم الجناح.
لماذا ذكر الله الطير صافات؟
القول الأول: إن ربنا سبحانه وتعالى لما قال { أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ } فالطير تكون بين السماوات وبين الأرض فلا هي على الأرض ولا هي في السماوات فذكرها تأكيداً أنها داخلة فيها هؤلاء الكائنات اللاتي يسبحن
القول الثاني: إن ربنا ذكر الطير بالذات للعجائب التي فيها خاصة عندما تكون صافات لأن الطير عجيب.
طائر ربنا جعل فيه خلقه عجيبة وتركيبة عجيبة تجعله يطير مسافات طويلة جداً وهو على هذه الهيئة
ولولا حركة الطير ودراسة أجنحة الطائر كيف صنعها الله سبحانه وتعالى ما كنا نرى طائرة أبداً.
صافات إن هي تبقى بسطه الأجنحة كده وتعتمد على الهواء
{كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ } يعني كل هؤلاء المخلوق علموا كيف يصلون كيف يسبحون
{ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ} ما معنى الصلاة هنا ؟
البعض قال الصلاة هي التسبيح
والبعض قال الصلاة هي: الدعاء والتسبيح هو التنزيه.
قاعدة في التفسير:
التأسيس مقدم على التوكيد
{عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ } فربنا هو الذي يعلم كل الأفعال دي وكل الصلوات دي
{وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ}
تعلق القلب بدار الآخرة .
استأنس بمن حولك من المخلوقات وإن وجدت وحشة فلا تنسى أنك راجع إلى الله ولن تضرك الوحشة ولن ينفعك أنك ضللت مع الضالين لأنهم كثرة.
لذلك قالوا بعض السلف : اسلك طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلال ولا تغتر بكثرة الهالكين.
{وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ } " ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان
{أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ}
{يُزۡجِي} يعني يسوق سحاباً

{ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ } يجمعهم عشان يبقوا حاجة كبيرة يؤلف بينهم ويجمع ذلك.
{ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا } يعني بعد ما يجمعه يجعلها تتراكم فوق بعضها البعض ، تحمل كمية كبيرة من الماء.
{ فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ} ودق يعني المطر ترى الودق يخرج من خلاله الودق اللي هو المطر.
{وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ } من جبال السحاب فوق منظره شبه الجبل يحمل كمية من البرد والمطر يبقى شكله فوق أشبه بالجبل .
جبال تحمل البرد والمطر ونحو ذلك فهذا من معجزات القرآن.
{ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ } يعني ينزل البرد { فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ}
{فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ } يعني ينزل المطر على من يشاء لينتفع به.
{ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ } : يعني يؤخر نزول المطر عن أراضي معينة لحكمة عنده سبحانه .
{فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ} يعني يجعل المطر ينزل بشكل نقمة وليس نعمة فيقتل فيغرق الأرض ويؤذي الدواب ، يبقى المطر هنا نزل كنوع من النقمة يصيب حصله إصابة بسبب المطر.
{ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ} يعني يصرف النقمة عن من يشاء فينزل مطراً طيباً نافعاً يفيد الأرض ولا يضر الزرع.

عندنا معنيين ليصيب ويصرف
الأول: يصيب يعني ينزل المطر على أناس فينتفعون به .
يصرف : يعني يؤخره عنهم فلا ينزل عليهم أصلاً.
المعنى الثاني : يصيب يعني ينزل المطر نقمة على ناس يغرق الأرض ويؤذي الدواب.
ويصرف يعني يجعله رحمة ولا ويصرف هذا العذاب عن من يشاء.
{يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ } البرق لو واحد بص له فعلاً يكاد يشعر أن بصره ذهب من شدة البرق
{يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ } يجعل الليل يعقب النهار والنهار يعقب
وقيل يقلب الليل والنهار يعني يجعل النهار أحياناً طويل والليل قصير ثم أحياناً الليل هو الطويل والنهار هو القصير يقلب.
إذن ربنا سبحانه وتعالى يستطيع ان يقلب ليلى إلى نهار ، ربنا يقدر أن يجعل ظلمتي نور ، ربنا يقدر أنه يخرجني من المعصية للطاعة ، ربنا يقدر إن هو يهدى قلبي ، ربنا يقدر أن يحيي قلبي. !

كما أن الفلاح يرجو الله عندما ينزل المطر ، فكذلك أنت ترجو الله عندما تقبل على القرآن أن يحيي قلبك.

{ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي ٱلْأَبْصَٰرِ} .. والله خلق والخالق سبحانه وتعالى الذي يعبد هو الذي يستحق العبادة.

{ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ}

فيها أقوال:

القول الأول: خلق كل دابة من ماء يعني من نطفة لأن النطفة تعتبر ماء.

.

القول الثاني : إشارة إلى أصل البشر هو آدم عليه السلام أنه خلق من تراب وماء فكان الماء من مكونات خلقة ادم عليه السلام فيعتبر كل ما جاء من بعده أخلق من هذه المادة وإن كان بعد ذلك الخلق اختلف لكن أصل البشر خلق من إجتماع ماء وتراب

القول الثالث: أن من مكوناته أي مخلوق الماء ، كما قال تعالى في سورة الانبياء

{وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ}

القول الأول أقرب

{فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ} كالثعبان.

{ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ } كالإنسان .

{ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ } كالأسود والنمور ونحو ذلك

{ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ } وده بيعطيك إحساس بقدرة هذا الخالق العظيم وبالتالي عندك توكل عليه عالي جداً لأنك علمت أنه على كل شيء قدير { إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

{لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ}

مش هتقدر تهتدي إلا إن أنت تلجأ إلى الله مش هتنفعك الآيات لو ربنا ما اختاركش! فلا تعتمد على وفرة الآيات يكفيك آية واحدة لو أراد الله أن يهديك ، ولن تنفعك ألف آية لو لم يرد الله تعالى أن يهديك

من يشاء دي مش عبثية ولا عشوائية وإنما يهدي لحكمة وهو يضل بحكمة هو أعلم بالشاكرين ، هو أعلم بالمهتدين ، هو أعلم بمن ضل عن سبيله، هو أعلم بمن يستحق الهدى، ومن يستحق الضلال.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك